

تفسير ابن كثير

فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ^ج وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ

يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى ، عليه السلام ، مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج

القاطعات والبراهين الساطعات ، إلا قليل من قوم فرعون ، من الذرية - وهم الشباب -

على وجل وخوف منه ومن ملئه ، أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر ؛ لأن فرعون

كان جبارا عنيدا مسرفا في التمرد والعتو ، وكانت له سطوة ومهابة ، تخاف رعيته منه

خوفا شديدا. قال العوفي : عن ابن عباس : (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف

من فرعون وملئهم أن يفتنهم) قال : فإن الذرية التي آمنت لموسى ، من أناس غير بني

إسرائيل ، من قوم فرعون يسير ، منهم : امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون

، وامرأة خازنه. وروى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (فما آمن لموسى

إلا ذرية من قومه) يقول : بني إسرائيل. وعن ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة (الذرية)

: القليل. وقال مجاهد في قوله : (إلا ذرية من قومه) يقول : بني إسرائيل . قال : هم

أولاد الذين أرسل إليهم موسى ، من طول الزمان ، ومات آباؤهم .واختار ابن جرير قول
مجاهد في الذرية : أنها من بني إسرائيل لا من قوم فرعون ، لعود الضمير على أقرب
المذكورين .وفي هذا نظر ؛ لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل ،
فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى ، عليه السلام ، واستبشروا به ، وقد كانوا
يعرفون نعتة وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة ، وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر
فرعون ويظهرهم عليه ؛ ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر فلم يجد عنه شيئا . ولما
جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى ، و (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما
جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) [
الأعراف : 129] . وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى ، وهم بنو
إسرائيل ؟ . (على خوف من فرعون وملئهم) أي : وأشرف قومهم أن يفتنهم ، ولم يكن
في بني إسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الإيمان سوى قارون ، فإنه كان من قوم
موسى ، فبغى عليهم ؛ لكنه كان طاويا إلى فرعون ، متصلا به ، متعلقا بحباله ومن قال : إن
الضمير في قوله : (وملئهم) عائد إلى فرعون ، وعظم الملك من أجل اتباعه أو بحذف "

آل " فرعون ، وإقامة المضاف إليه مقامه - فقد أبعد ، وإن كان ابن جرير قد حكاهما عن

بعض النحاة . ومما يدل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن قوله تعالى :